الفصل ودوره في اتساق وانسجام سورة الكهف

د. يعقوب الزهرة

جامعة ابن خلدون-تيـــــــــارت

الملخص : تحاول هذه الدراسة الانتقال من خلال ظاهرة الفصل من لسانيات الجملة الى اللسانيات النصّية من خلال النص القرآني –سورة الكهف أنموذجا- بالبحث في اتساقه عن طريق هذه الظاهرة اللغوية، قصد الوصول إلى الهدف العام لهذه الدراسة وهو إثبات انسجامه الدلالي والتداولي.

الكلمات المفتاحية:الفصل ؛لسانيات النص؛الاتساق؛الانسجام؛النص القرآني.

Abstract: This study attempts to move through the phenomenon of the separation from the linguistics of the sentence to the textual linguistics through script of Quran – Sura Al-kahf-model search in its consistency through linguistic phenomenon, in order to reach the overall goal of this study is to establish the semantic and deliberative coherence

key words:separation; Linguistics text; *Cohésion*; *cohérence* ; *Quranic text.*

مقدمة : لقد كشف المفسرون والمهتمون بعلوم القرآن عن وعي متقدم، بأن القرآن يشكل نصا واحدا، من خلال الارتباط الشديد بين آياته وسوره، وذلك الارتباط الذي عبر عنه اللسانيون النصيون بالاتساق والانسجام النصي، واللذان برز مفهومهما عند المفسرين والمهتمين بعلوم القرآن بعلم المناسبة والارتباط بين آيات القرآن. من هذا المنطلق، فإنّ المقاربة النصية للفصل ، تتحدد في محاولة بيان فاعليته في بناء وحدة النص القرآني واتساقه وانسجامه.

وإذا كان مبحث الفصل لم يلق العناية نفسها التي لقيها مبحث الوصل من قبل الدارسين والباحثين الغربيين-تحدث عنه هاليداي ورقية حسن في كتابهما الاتساق في اللغة الانجليزية وفان دايك في كتابه النص والسياق و روبرت دي بوجراند وكتابه النص والخطاب والإجراء- رغم الدور الذي يؤديه في ترابط النص واتساقه وانسجامه وربما لطبيعة علاقته التي تجعل من التركيبين "كالشيء الواحد، ولا يجوز عطف الشيء على نفسه"[1] فان البلاغيين والمفسرين والمهتمين بعلوم القرآن حاولوا البحث عن أسراره ودقائقه البيانية في العديد من مصنفاتهم كعبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الجرجاني وبدر الدين الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن و دراز صباح عبيد في كتابه أسرار الفصل والوصل وغيرهم

---

[1]- لاشين، عبد الفتاح. المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم.دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1424 هـ، 2003م،ص: 237.

أ_ **المقاربة النّصية للفصل في النص القرآني:** تحدث الزمخشري في غير موضع من تفسيره بانبهاره وإعجابه بالفصل الواقع بين الآيات القرآنية،كقوله في الفصل الحاصل بين الآيات الأربعة الآتية: " **الم/ ذَلِكَ الْكِتَابُ/ لَا رَيْبَ فِيهِ/ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**"(سورة البقرة،الآية:01-02) ، وقد "أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها ببعض"[2]، وتصريحه في مواطن كثيرة بتفضيله للفصل عن الوصل كما جاء في تعليقه عن قول الآية "**وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ**"(سورة هود،الآية:93) ، قائلا: "فإن قلت أيّ فرق بين إدخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون، قلت: إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف، فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه"[3].من هذا الأساس، فإن الكشف عن فاعلية الفصل في اتساق وانسجام النص القرآني، يمكن أن يتضح في مظهرين أساسيين هما: وحدة موضوع الخطاب (النص)، وتغير موضوع الخطاب (النص). بحيث يتوسط هذان المظهران فاعليته في بناء البنية السردية.

1.الفصل ووحدة موضوع الخطاب: يبرُز الفصل في النص القرآني، كآلية اتساقية مقابلة للوصل، حيث يتم الربط بين الآيات القرآنية ربطا محكما معنويا من خلال إقامة علاقة دلالية يكون فيها "اللاحق بيانا للسابق أو الأثر متولدا عن المؤثر"[4]، فينتج خطابا مسهبا ذو نسيج متماسك ومنسجم ذو وحدة في الموضوع الخطاب العام، ولأن الفصل علاقة متخفية، فإنّ الآليات التي تُظهر تلك العلاقة هي الشرح، والتفسير والبيان، والتفصيل، وعلاقة السبب بالمسبب، والأثر بالمؤثر، والنتيجة بالعلة.ومما ورد في هذا السياق، قوله تعالى: " **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ...وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**"(سورة البقرة،الآية:255).اشتملت هذه الآية على عشر جمل مستقلة تضمّن موضوعها "التوحيد والصفات العلا"[5]، يحاول الزمخشري تفسيره لذلك التراصف والترابط بين الجمل العشر في غياب رابط أو صيغة علائقية توثق بنيتها حيث يقول: "فإن قلت: كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير عطف؟ قلت: ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل المثال لما ترتب عليه، والبيان متحد بالمبين؛ فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه، والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى عنهم المستوجب للشفاعة، وغيره المرتضى، والخامسة لسعة علمه، وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله، وعظم قدره"[6].فالزمخشري جعل الرباط المعنوي قائما في العلاقة البيانية والتفصيلية لمعنى التوحيد وصفات العلا.فالفصل حقق النّصّية-في عرف

---

[2] - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. ج01، ص: 23.

[3] - م.س، ج01، ص: 53.

[4] - منقور، عبد الجليل. النص بين الدلالة والتأويل -قراءة في خطاب التراث الأصولي-. ص: 25.

[5] - القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. مكتبة الصفا، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى؛ 1425هـ، 2005م، ج3، ص: 206.

[6] - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. ج1، ص: 146.

علماء اللسانيات النصية- من خلال الربط الوثيق والمحكم بين جمله التي تبدو للقارئ المتعجل أن هناك فصلا- بالمعنى المعجمي لها-.

ومنها أيضا قوله تعالى: " **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ...كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**"(سورة الأنفال،الآية:02_06).يشير الزركشي إلى أن العلاقة الترابطية الخفية التي تُؤذِن باتصال الكلام هي إلحاق النظير بالنظير، حيث "إنّ الله سبحانه أمر رسوله، أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير، وهم كارهون، وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم، وجادلوه، فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل، فأنزل الله هذه الآية وأنفذ أمره بها وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه ولا يتعرضوا عليه فيما يفعله، بعد أن كانوا مؤمنين، ومن المؤمنين ثم قال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، وإن فريقا من المؤمنين لكارهون، يريد أن كراهتهم لما فعلته من الغنائم لكراهتهم للخروج معك"[7].فالملاحظ من الآيات السابقة، أن الاستعمال القرآني لثنائية الفصل والوصل، اقتضى الوصل عند ذكر وصف المؤمنين، والفصل عند المقاربة بين الواقعيتين.فالفصل القائم على البعد التداولي (أسباب النزول) حقق وحدة موضوع الآيات السابقة، وهو طاعة الرسول من طاعة الله والإيمان به.ويغلب الفصل في النص القرآني، بين صفات الله تعالى لدلالته على وحدة الموضوع الدال على "الذات التي لا تتعدد"[8]، كما في قوله تعالى: "**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**"(سورة الفاتحة،الآية:02-03) ، وقوله أيضا: " **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**"(سورة الحشر،الآية:22_24).فهذه الصفات، جاءت في سلسلة متناسقة ومنسجمة لا تخالف بين دلالتها التي تصب في نطاق واحد وهو وحدانية الله سبحانه وتعالى، والربط بين الصفات أو التوابع بصفة عامة، يخضع للفصل في غالبيته لا للوصل، وذلك لأن الصفات والتوابع تربطها بما قبلها علاقة البيان والتوضيح"[9]، فوحدة دلالة الموضوع العام اقتضى الامتداد النصي لصفات الله عز وجل من غير رابط شكلي.

ويرى الزمخشري في الفصل من خلال البدل أنه يعطي بُعدا جماليا معنويا مفاده "تأكيد وتكرير"[10]، وهذا يوافق ما اصطلح عليه علماء النصية بـ"المناسبة المعجمية"[11]، ففي قوله تعالى: "**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**"(سورة الفاتحة،الآية:06-07) ، يقول الزمخشري: "صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل، كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا الصراط الذين

---

[7] - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. ج01، ص: 47.

[8] - دراز، صباح عبيد. في البلاغة القرآنية- أسرار الفصل والوصل-. ص: 36.

[9] - ينظر: صبرة، محمد حسين. المتشابه والمختلف في النحو العربي. دار غريب، القاهرة- مصر، الطبعة الثانية؛ 2003م، ص: 53.

[10] - الجويني، مصطفى الضاوي. منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان الإعجاز. دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ص: 225.

[11]- ينظر: عبد المجيد، جميل. البديع بن البلاغة العربية واللسانيات النصية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 1998م.ص: 79.

انعمت عليهم كما قال: الذين استضعفوا لمن آمن، فإن قلت: ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم؟ قلت: فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شبها لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده"[12].فمن المؤكد، أن البدل وثق الرباط المعنوي للآيات، فظهرت متسقة منسجمة ومتلاحمة كالكلمة الواحدة.

والغالب في النص القرآني، أن المقاطع التي جاءت مكررة في مواضع من القرآن، كانت مفصولة شكليا عما سبقها موصولة معنويا، كما في سورة الرحمن حيث وردت الآية " **فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**"(سورة الرحمن،الآية:13) ، بعد كل نعمة عدها لأنّ لا تكون حجة لهم.فالتكرير ساهم في تماسك النص الذي بدا ظاهريا مفصولا، وذلك من خلال وحدة الموضوع العام، وهو ذكر نعم الله وتعدادها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إثارة النفوس أي "تمكين المكرر في النفوس وتقريره"[13].

وفي السياق نفسه، يرى ابن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: " **وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ ...وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ ...قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا ...فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** "(سورة البقرة،الآية:35-38).يبدو أن هذه الآيات مترابطة ترابطا شديدا فيما بينها، و هذا راجع كما يرى ابن عاشور إلى تكرير جملة قلنا اهبطوا وإلى الجملة الإعتراضية فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، قال ابن عاشور: "كررت جملة قلنا اهبطوا فاحتمل تكريرها أن يكون لأجل ربط النظم من الآية القرآنية من غير أن تكون دالة على تكرير معناها في الكلام الذي خوطب به آدم، فيكون هذا التكرير لمجرد إيصال ما تعلق بمدلول 'قلنا اهبطوا'، وذلك قوله بعضكم لبعض عدو وقوله 'فإما يأتينكم مني هدى'، إذ فصل بين هذين المتعلقين ما اعترض بينهما من قوله: 'فتلقى آدم من ربه' فإنه لو عطف ذلك فإما يأتيكم مني هدى لم يرتبط كمال الارتباط، ولتوهم السامع أن خطاب للمؤمنين على غير عادة القرآن في التفنن، فلدفع ذلك أعيد قلنا اهبطوا، فهو قول واحد كرر مرتين لربط الكلام ولذلك لم يعطف قلنا لأن بينهما، شبه كمال الاتصال"[14].فكلام ابن عاشور، يشير إلى الفصل الاعتراضي (الجملة المعترضة)، وإلى الفصل التكراري، ودورهما في رفع اللبس عن السامع، فحمل بذلك بعدا تداوليا، بالإضافة إلى "مقتضى خطابي صرف متعلق بتماسك تداولي للخطاب واعتراض كلام بين قولين"[15]، فجاء الفصل التكراري لوصل ما انقطع بينهما.

2.الفصل وبناء البنية السردية:يستعمل الخطاب القرآني -الفصل- بصيغة قال، وصيغة الجمل المستأنفة اللذان يعطيان للنص بناءا سرديا متماسكا، ففي قوله تعالى: " **وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ،...** "(سورة الشعراء،الآية:10-50) ، حيث تبدأ القصة مع "إرسال موسى إلى قوم فرعون الظالمين، ودعوته لهم، لكنهم يكذبونه مستكبرين

---

[12] - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. ج01، ص: 16.

[13] - الجويني، مصطفى الضاوي. منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان الإعجاز. ص: 228.

[14] - ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. ج1، ص: 440.

[15] - خطابي، محمد. لسانيات النص -مدخل إلى انسجام الخطاب-. ص: 180.

معرضين عن دعوته، بعد أن يجال فرعون موسى في تربيته له، وفي قتله القبطي ثم في الله رب العالمين، محذرا إياه أن يتخذ إلها غيره، ويجمع له السحرة ليغلبوه، فيُغلبوا، ويؤمنوا بالله رب العالمين"[16].إن تماسك البناء السردي لقصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، كان ناتجا عن الحوار الجدلي بينهما في صيغة "تقدير السؤال والجواب"[17]، الذي عُبرّ عنه بلفظ قال.أما الجمل المستأنفة، فجاءت بيانا والتصاقا بالحكم السابق لها كما في قوله تعالى: **"وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ"**)(سورة الشعراء،الآية:10-11) ،حيث جاء في الكشاف "سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون، وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء ذكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين"[18].فالآيات السابقة، جاءت متناسقة ومنسجمة من خلال الفصل الذي ساعد على بناء موضوع العلاقة الترابطية العامة، وهي إرسال موسى وتكذيب فرعون، وربما كان الفصل الواقع في هذه القصة يعبر عن تباعد الحق عن الظلم، فالاتساق ناتج عن الفصل والانسجام ناتج عن الاستمرارية الدلالية العامة.غير أن علماء النصية لم يلتفتوا إلى هذه العلاقة المعنوية التي قدرها علماء العرب بالفصل[19]، وذلك ربما يعود إلى أنّ الفصل يرتبط كما قال إبراهيم الفقي بما سبقه بواسطة الضمير (الإحالة) [20].

3.الفصل وتغيير موضوع الخطاب:ذكر منير سلطان في كتابه: (الفصل والوصل في القرآن الكريم –دراسة أسلوبية-)، أن الوصل هو "ربط معنى بمعنى آخر بأداة لغرض بلاغي"[21]والفصل "هو قطع معنى عن معنى آخر بأداة لغرض بلاغي"[22]، فالفصل في نظر منير سلطان يعبر عن القطع، وإذا كنا نحن لا نوافقه في هذا الرأي بالقطع، لأن النص القرآني كما قال عنه القدامى "كالكلمة الواحدة"، ويؤثر استعمال الانتقال من غرض إلى غرض آخر أي الانتقال مثلا من ذكر صفات المؤمنين إلى ذكر صفات الكافرين أو الحديث عن الجنة ثم الانتقال إلى الحديث عن النار، فما ورد في هذا السياق؛ قوله تعالى: **"أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"**(سورة البقرة،الآية:05-06).تتمحور هذه الآيات القرآنية حول محورين:**المحور الأول: ذكر صفات المتقين/ المحور الثاني: ذكر صفات الكفار**

---

16 - خضر، محمد مشرف. بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم. جامعة طنطا، مصر، ص: 39.

17 - خطابي، محمد. لسانيات النص- مدخل إلى انسجام الخطاب-. ص: 110.

18 - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. ج04، ص: 160.

19 - ينظر:

Halliday, M.A.K, Hasan Ruqaiya. Cohesion in English, ,Long man Group limited landon,p:04.

20 - ينظر: الفقي، صبحي. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. دار قباء، مصر، الطبعة الأولى؛ 1421هـ، 2000م. ج1، ص: 267.

21 - سلطان، منير. بلاغة الكلمة والجملة والجمل. ص: 263..

22 - م. س، ص: 263.

وفي هذا الصدد، يقول الزمخشري: "**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**"(سورة الانفطار،الآية:13-14) ، وغيره كثير قلت: ليس وازن هاتين القصتين، ووازن ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين، وسيقت الثانية لأنّ الكفار من صفتهم كيت وكيت، فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعطف"[23].وفي السياق نفسه يقول ابن عاشور: "إنّما قطعت هذه الجملة عن التي قبلها لأنّ بينهما كمال الانقطاع، إذ الجمل السالفة لذكر الهدى والمهتدين، وهذه لذكر الضالين"[24]، وهذا ما يفسر فاعلية الفصل المعبر عنه بكمال الانقطاع في الانتقال من غرض المؤمنين إلى غرض أحوال الكفار، فالفصل أدى إلى انسجام وتماسك في الدلالة العامة، وإلى انفصال في الدلالة الصغرى، لأن كمال الانقطاع أدى إلى الدلالة المعنونة، وهي الانقطاع التام بين الهدى والضلالة.وهذا ما أكده الرازي بقوله: "اعلم أنه تعالى لما عدد وجوه إنعامه عليهم أولا، ختم ذلك بشرح بعض ما وجه إليهم من التشديدات، وهذا النوع الأول"[25], ويقصد بالنوع الأول الانتقال من الغرض المحوري في الآية.ولاشك أن الفصل كان له دورٌ كبيرٌ كآلية للتحليل النصي في القرآن الكريم، فإذا كانت دلالته المعجمية تعني القطع، فإن دلالته داخل السياق القرآني تتجاوزها إلى الربط الوثيق بين موضوعاته من جهة وإلى فصلها فصلا غير نهائي من جهة أخرى، وبهذا الدور ساهم الفصل في بناء النسق النظمي والانسجام النصي دلاليا، وتداوليا بإثارة المتلقين (المستمعين).

مما سبق، نقول أنّ الدرس اللساني النصي الحديث، يلتقي مع الدرس الإعجازي العربي، باعتبار أن المفسرين انطلقوا من النص القرآني كبناء متلاحم، فبحثوا في آليات ذلك التلاحم الذي كان الفصل أحد آلياته ، وحاولوا الوقوف عنده لكشف فاعليته في البناء النصي الذي يقوم على مفهوم الانسجام والاتساق.

ب-الفصل ودوره في اتّساق وانسّجام سورة الكهف:

1. البنية النصية لسورة الكهف:

تتكون سورة الكهف من مئة وعشر آيات، "وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وستون وحروفها ستة آلاف وأربعمائة وستون حرف"[26]، وهي "سورة مكية إلا الآية 28، ومن الآية 82 إلى غاية 101 مدنية"[27]، وبذلك فهي تؤكد "قضية أساسية من قضايا سور المكية، وهي قضية التوحيد، وتسري روح هذه القضية من بداية السورة حتى نهايتها؛ حيث الإشارة إلى نعمة الله والحمد على هذه النعمة؛ نعمة

---

[23] - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل. ج1، ص: 28.

[24] - ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير.ج01، ص: 247.

[25] - الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير، (مفاتيح الغيب). ج3، ص: 117.

[26] - الضباع، محمد علي. تنوير المقياس من تفسير ابن عباس. دار الجيل، بيروت- لبنان، ص: 243.

[27] - المحلي، جلال الدين محمد أحمد. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. تفسير الجلالين مع أسباب النزول. دار الفكر، بيروت- لبنان، ص: 388.

تنزيل الكتاب نذيرا وبشيرا، وهذا في بداية السورة ثم تأتي في آخرها ليؤكد جزاء العاصين، وثواب المطيعين، وأن من أراد لقاء ربه، فليعمل عملا صالحا، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا، لأنه سبحانه لم يتخذ شريكا ولا ولدا كما ذكر في أول السورة"[28].

ولقد حملت البنية النصية لهذه السورة خمس قصص: وهي قصة أصحاب الكهف والجنتين، وآدم مع إبليس، وموسى مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين. ونجد اسم السورة -الكهف- مستمدا من أصحاب الكهف، أحد الأسئلة الموجهة إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم- والتي كانت من أسباب نزول هذه السورة الكريمة فقد ذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس، قال: "بعثت قريش" النّضر ابن الحارث" "وعقبة بن أبي معيط" إلى أحبار يهود المدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجنا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنّكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهنّ، فهو نّبيّ مرسل، وإلاّ فرجل مُتقوّل فتروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان نبؤه؟، وسلوه عن الروح ما هو؟، فإن أخبركم بذلك، فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم، فإنه رجل مُتقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النّضر وعقبة حتى قدما على قريش، فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل بينكم وبين محمد، قد أمر أحبار يهود أن نسأله عن أمور؛ فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم- فقالوا: يا محمدا أخبرنا، فسألوه عما أمروهم بها، فقال لهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- "أخبركم غدا عمّا سألتم عنه". ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- خمس عشرة ليلة لا يحدّث الله له في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرحف أهل مكة، وقالوا: وعدّنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة، قد أصبحنا فيها لا يخُبرْنا بشيء عمّا سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حين مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله -عز وجل- بسورة الكهف"[29].

والظاهر من حديث ابن عباس أنّ سورة الكهف ارتبطت في نزولها بالبعد التداولي (المقامي) وهو الجواب عن أسئلة أحبار اليهود.

وبذلك، فإنّ البنيّة النّصيّة لسورة الكهف تنحصر في المستوى التركيبي الذي يمثل الآيات وتعانقها، والمستوى الدلالي الذي يتجسد في إثبات قضية التوحيد والعقيدة، والمستوى التداولي المتمثل في أسباب نزول السورة الكريمة التي جعلت

---

[28] - الفقي، صبحي. علم لغة النصي بين النظرية والتطبيق. ج1، ص: 290 -291.

[29] - الصابوني، محمد علي. مختصر تفسير ابن كثير. شركة الشهاب، الجزائر، 1411هـ، 1990م. ج2، ص: 408.

من المتلقي يرصد أسئلة مختلفة حولها منها علاقة اسم السورة بالموضوع العام، وكذا

موقفه من الأسئلة الموجهة إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم- وغيرها.ويمكن تمثيل البنيّة النّصيّة لسورة الكهف كما يلي[30]:

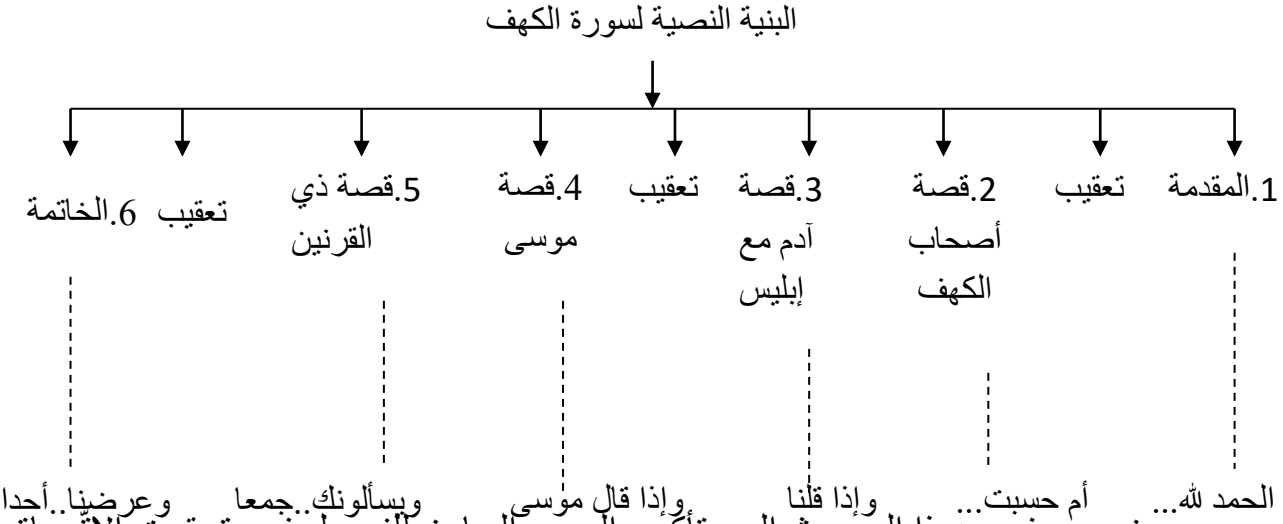

نسعى في هذا المبحث إلى تأكيد الدور البارز للفصل في تحقيق الاتّساق والانسجام لسورة الكهف، ولكن قبل هذا نحاول إحصاء مواضع الفصل الواردة في هذه السورة.

2. جدول إحصائي لمواضع الفصل في سورة الكهف:

آلية الفصل	عدد المرات	موقعه في السورة (الآية)
الصفة	33 مرة	الآية: 02 (مرتان)، 05، 08، 11- 14 (مرتان)، 17 (ثلاث مرات)، 18 (مرتان)، 22 (مرتان)، 31 (مرتان)، 40 (مرتان)، 46 (مرتان)- 43- 44- 49- 58- 62- 64- 71- 74 (مرتان) 110-98-91-87
البدل	04 مرات	الآية: 11- 63- 104- 106.
التوكيد	/	/
عطف البيان	مرة واحدة	الآية: 52.
الاستئناف البياني	32 مرة	الآية: 05-07- 10- 13 (مرتان)- 14 (مرتان)، 15 (مرتان)، 16- 17- 19- 22 (مرتان)- 29 (ثلاث مرات)، 30 (مرتان)، 31 (مرتان)- 50-39- -63-57

[30] - ينظر: بن عروس، مفتاح. في علاقة النص بالمقام- سورة الكهف نموذجا- .مجلة اللغة والأدب، العدد 14، ديسمبر، 1999، دار الحكمة، الجزائر، ص: 301.

		78-86-94-98-105-109-110.
الفصل الاعتراضي	09 مرات	الآية: 02-17-21-33-45-46-54-90-103.
الفعل الحكائي	25 مرة	الآية: 19-24-26-35-34-37-60-62-63-64-66-67-69-70-71-73-74-75-76-77-78-94-95-96-98.

يتضح من الجدول السابق، أنّ آلية الفصل من خلال الصفة والاتّساق البيّاني والفعل الحكائي هي الغالبة على هذه السورة، ربّما ذلك نتيجة لفاعليّة الصفة والاستئناف البياني في البيّان والتوضيح والتعقيب على ما سبق، وفاعليّة الفعل الحكائي في بناء البنية السردية لكون هذه السورة متضمنّة خمس قصص يغلب عليها الطابع الحواري والحكائي.

كما نجد أنّ آلية الفصل القائمة على الاعتراض والبدل وعطف البيان حضورها في هذه السورة بنسب ضئيلة، وذلك لوقوعها موقع الاستدراك أو التعارض أو البيان والتوضيح، أو تغيير موضوع الخطاب.

2.الفصل ووحدة مضمون السورة:

يُجسّد الفصل رباطا معنويا بين وحدات النص، ويبدو لنا ذلك من خلال قوله تعالى: " **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا، مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا، وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا**" (سورة الكهف: الآية: 01 – 05) ، ترتبط هذه الآيات ارتباطا معنويا مع قوله تعالى: " **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** "(سورة الكهف: الآية:109). حيث ذهب ابن عاشور إلى القول" لمّا ابتدأت هذه السورة بالتنويه بشأن القرآن ثم أفيض أفانين الإرشاد والوعد والوعيد، وذكر فيها من أحسن القصص ما فيه من عبرة وموعظة، وما خفي من أحوال الأمم حُوّل الكلام إلى الإيذان بأن كل ذلك قليل من عظيم علم الله تعالى..." [31]. وفي هذا "رد عجز السورة على صدرها"[32]. فالفصل، قد جسّد الاستمرارية الدلالية بين أول السورة وآخرها القائمة على سعة علم الله تعالى.

وكذلك في قوله تعالى: " **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**"(سورة الكهف: الآية: 110)**.** فاستئناف هذه الآية بيانا وتوضيحا وإثباتا للأصول

---

[31] - ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. ج 16، ص: 51.

[32] - م. س، ج16، ص: 52.

الثلاثة التي تحدثت عنها السورة وهي: "وحدانية الإله، وإثبات البعث، والأعمال الصالحة"[33]، وفي هذا الاستئناف ارتباط وثيق بمضمون الآيات **" قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا... وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا"**(سورة الكهف: الآية:02–19).

وربّما كانت مساهمة الفصل الاستئنافي في إقامة العلاقة الدلالية الخفية من خلال الربط بين معنيين متضادين.

3.الفصل وفاعليته في التوضيح والبيان والتوكيد:

لقد أقرّ البلاغيون –فيما سبق- أن النعت، والبدل، والتوكيد يجعل من المتبوع والتابع، والمبدل والمبدل له، والمؤكّد والمؤكّد له، كشيء واحد لا ثاني لهما، لأنّ الغرض من هذه المصطلحات الثلاثة هي التوضيح، والبيان، والتوكيد.

وإذا تتبّعنا فاعليّة هذه المصطلحات الثلاثة في اتّساق وانسّجام النّص القرآني من خلال أنموذج سورة الكهف يتبيّن لنا ذلك فيما يلي:

في قوله تعالى: **" كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا "**(سورة الكهف: الآية: 05). ذهب الزمخشري إلى القول بأنّ "تخرج من أفواههم" صفة لكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق به، وإخراجها من أفواههم، فإنّ كثيرا ممّا يوسوسه الشيطان في قلوب الناس، ويحدّثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به، ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه نشورا"[34].

ويبدو من قول الزمخشري، أنّ الصفة جاءت بيانا وتوضيحا لشناعة الكلمة التي تلفظ بها المشركون "اتخذ الله ولدا"[35]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ موقع الاستئناف لهذه الآية يؤكد الرباط المعنوي لشناعة قول الكفار وفظاعته، ولهذا فصلت عمّا سبق.

وكذا قوله تعالى: **" فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا "**(سورة الكهف: الآية:11).

وقوله أيضا: **" وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ "**(سورة الكهف: الآية:17).

وأيضا، قوله تعالى: **" سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ "**(سورة الكهف: الآية:22).

---

[33] - م.س،ج16، ص: 55.

[34] - الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل. ج3، ص: 198.

[35] - سورة الكهف، الآية: 04.

فموقع الفصل في عددا، وذات اليمين، وذات الشمال، ورابعهم، سادسهم هو تأكيد لصوق الصفة بالموصوف، فالعدد مرتبط بالسنين الذي هو بيان لكثرة سنين مكوثهم في الكهف، وذات اليمين وذات الشمال مرتبط بجهة ووضعية نومهم، ورابعهم وسادسهم مرتبط بالعدد السابق لهما، فجاءت هذه الصفات بيانا وتوضيحا للموصوف.

وكذلك في قوله تعالى: " **أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا** "(سورة الكهف: الآية:31) ، حيث وقعت جملة "يحلون صفة لجنات عدن"[36].

ومن مواضع البدل في هذه السورة قوله تعالى: " **قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**"(سورة الكهف: الآية:63). ذهب ابن عاشور إلى القول "بأنّ "أن أذكره" بدل اشتمّال من ضمير أنسانيه لا من الحوت، والمعنى ما أنساني أن أذكره إلاّ الشيطان...ووجه حصره إسناد هذا الإنساء إلى الشيطان أنّ ما حصل له من نسْيان أن يخبر موسى بتلك الحادثة نسْيان له من شأنه أن يقع في زمن قريب مع شدة الاهتمام بالأمر المنسي وشدة عنايته بأخبار نبيئة به"[37].

والظاهر من قول ابن عاشور أنّ البدل "أن أذكره" أبان وأكد وأثبّت النّسيان من أعمال الشيطان.

وفي قوله تعالى: " **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** "(سورة الكهف: الآية:103-104). يقول ابن عاشور: "أنّ الذّين ضل سعيهم بدل من الأخسرين أعمالا"، في هذا الإطناب زيادة التشويق إلى معرفة هؤلاء الأخسرين حيث أجرى عليهم من الأوصاف ما يزيد السامع حرصا على معرفة الموصوفين بتلك الأوصاف والأحوال"[38].

ويبدو أنّ ابن عاشور ربط هذا الفصل المفضي عن البدل بالسامع (المتلقي)، وبهذا تتفق وجهة ابن عاشور مع فان دايك "الذي يدعو إلى النظر إلى النّص من الداخل "بنيته"، وكذا في علاقته مع المتلقي"[39].

واللافت في هذه السورة، غياب التوكيد (التوكيد اللفظي، التوكيد المعنوي)، إلاّ ما جاء في صيغة [إنّ + جملة فعلية] حيث جاءت أغلبها في صورة الفصل لمّا سبق.

---

[36] - م.س، ج15، ص: 321.
[37] - م.س، ج 15، ص: 367.
[38] - م.س، ج 16، ص: 46.
[39] - لخلف، نوال. الانسجام في القرآن الكريم. -سورة النور أنموذجا-. دكتوراه، الجزائر، 2006م، 2007م، ص: 17.

ومنـه قولـه تعـالى: " **إِنَّـا جَعَلْنَـا مَـا عَلَـى الْأَرْضِ زِينَـةً لَهَـا لِنَبْلُـوَهُمْ أَيُّهُـمْ أَحْسَـنُ عَمَـلًا، وَإِنَّـا لَجَـاعِلُونَ مَـا عَلَيْهَـا صَـعِيدًا جُـرُزًا** "(سـورة الكهـف: الآيـة:07-08). حيـث يـرى ابـن عاشـور بـ "أنّهـا تسـلية للنبـي –صـلى الله عليـه وسـلم- علـى إعـراض المشـركين بـأنّ الله أمهلهـم وأعطـاهم زينّـة الـدنيا لعلهـم يشـكرونه، وأنّهـم بطـروا النعمـة، فإنّ الله يسلب عنهم النعمة فتصير بلادهم قاحلة"[40].

فالفصـل أوثّـق الـربط المعنـوي بـين إنـذار المشـركين، ومـا سـيؤوله حـالهم بعـد الإعـراض عـن الإيمـان. فجـاء التأكيـد الفصـلي تأكيـدا لمـّا سـبق ولمـّا وعـد بـه الله المشركين.

4.الفصل وعلاقة السؤال بالجواب:

ممّـا يؤكـد فاعليـة الفصـل فـي اتسـاق وانسـجام سـورة الكهـف هـو وقوعـه موقـع التعليـل، والإثبـات، ولقـد أشـار فخـر الـدين الـرازي إلـى هـذا الموقـع، وهـو يفسّـر سـورة الفاتحـة التـي افتتحـت بـ "الحمـد لله"، وهـذا التفسـير ينطلـق أساسـا مـن علاقـة السـؤال بـالجواب حيـث يقـول: "الحمـد لله" مبنـي علـى أمـرين: أحـدهما: وجـود الإلـه، الثـاني: وكونـه مسـتحقا للحمـد، فمـا الـدليل علـى وجـود الإلـه ومـا الـدليل علـى أنـه اسـتحقاقه؟، ولمـا توجـه هـذان السـؤالان لا جـرم ذكـر الله تعـالى مـا يجـري مجـرى الجـواب عـن هـذين السـؤالين، فأجـاب عـن السـؤال الأول بقولـه "ربّ العـالمين" وأجـاب عـن السـؤال الثاني بقوله "الرحمن الرحيم ملك يوم الدين"[41].

ومـن هـذا المنطـق، فافتتـاح سـورة الكهـف بقولـه تعـالى: "الحمـد لله"، يـرتبط بالسـياق اللاحـق "الـذي أنـزل علـى عبـده الكتـاب" ارتباطـا تعليليـا"[42]. فمسـتحق الحمـد هو الله الـذي أنـزل علـى عبـده محمـد -صـلى الله عليـه وسـلم- الكتـاب. وبـالنظر إلـى قـول الرازي من خلال علاقة السؤال والجواب نحصل على ما يلي[43]:

[40] - ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. ج 15، ص: 256.
[41] - الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب. ج1، ص: 185.
[42] - بن عروس، مفتاح. في علاقة النص بالمقام-سورة الكهف أنموذجا-..ص: 327.
[43] - ينظر: م. س، ص: 327.

ومما جاء أيضا جوابا عن سؤال مقدر الذي يوجب فصل التركيب اللاحق عن السابق ليستأنف به. قوله تعالى: " **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** "(سورة الكهف: الآية:29-31).

الملاحظ من هذه الآيات، وقوع ثلاثة مواضع للاستئناف (الفصل) وهي:

إنّا اعتدنا للظالمين نارا....وإنّ الذين آمنوا....وأولئك لهم جنات عدن.

فالموضع الأول للفصل: إنّا اعتدنا للظالمين جاء جوابا على السؤال المقدر في الآية ماذا يلاقي من شاء فاستمر على الكفر؟

والموضع الثاني للفصل: إنّ الذين آمنوا جاء جوابا على السؤال المقدر في الآية السابقة، ماذا أعدّ الله للمؤمنين؟

والموضع الثالث للفصل: "أولئك لهم جنات عدن" جاء جوابا على السؤال المقدر في الآية السابقة، ما هو الأجر من أحسن عملا[44].

إذا فالفصل في هذه الآيات، كان نتيجة لجواب عن سؤال مقدر يثيره سياق الآية في ذهن المتلقي أو السامع إثر سماعه " **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** "(سورة الكهف: الآية:29).

وتتضح العلاقة أكثر بين هذه المواضيع الثلاثة من خلال المخطط التالي

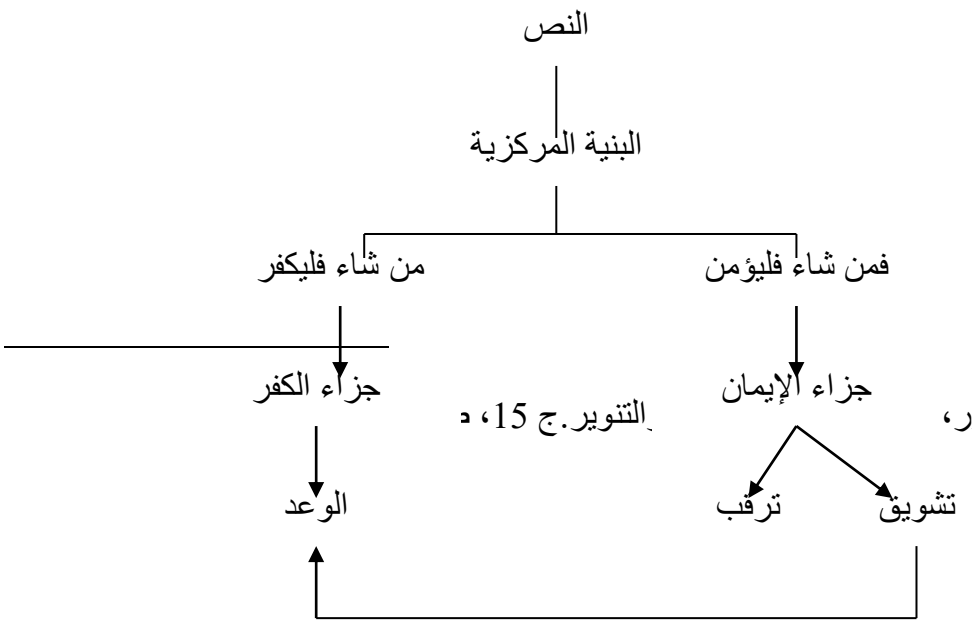

44 - ينظر: ابن عاشور، التنوير.ج 15، د

وربمّا كان التغيير وانتقال من خطاب الكفار، وما أعده الله عزّ وجل من جزاء لهم إلى خطاب المؤمنين، وما أعدّه لهم من ثواب وأجر، استدعى هذا المقام الفصل بينهما لأمن ورفع اللبس عن المتلقي.

وفي سياق آخر، نجد علاقة السؤال بالجواب تتكشّف أكثر في قوله تعالى: " **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** "(سورة الكهف: الآية:103-104). الذي جاء واضحا "بمعنى أتحبون أن ننبئكم بالأخسرين أعمالا. وهو عرض تهكم لأنّ منبئهم بذلك دون توقف على رضاهم"[45].

وبذلك حقق الفصل الاستمرارية الدلالية والتداولية من خلال علاقة السؤال بالجواب الذي يثير المتلقي ويستدعي انتباهه.

5.الفصل الاعتراضي وفاعليته في انسجام سورة الكهف:

يقيم الفصل الاعتراضي علاقة خفيّة، تبدو في ظاهرها أنّها مستقلة في ذاتها كقوله تعالى: " **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** "(سورة الكهف: الآية:46) حيث هذه الآية في موضع اعتراض بين قوله تعالى: " **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** "(سورة الكهف: الآية:45) وقوله تعالى: " **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا** "(سورة الكهف: الآية:47).

ذهب ابن عاشور إلى القول بأنّ هذا "الاعتراض أريد به الموعظة والعبرة للمؤمنين بأنّ ما فيه المشركون من النعمة من مال وبنين إلاّ زينة الحياة الدنيا التي علمتهم أنّها إلى الزوال"[46].

والمتأمل لموقع هذا الفصل الاعتراضي يدرك أن هناك علاقة خفيّة بينه وبين ما سبقه وهي علاقة الزوال، وبينه وبين ما لحقه وهي علاقة إثبات الزوال من خلال إثبات البعث.

وقوله أيضا: " **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا** "(سورة الكهف: الآية:103-104) ، فقد جاءت هذه الآية اعتراضا باستئناف بياني أثاره "مضمون الآية السابقة " **أَفَحَسِبَ**

---

[45] - م.س،ج16، ص: 46.

[46] - م.س،ج15، ص: 332.

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا "(سورة الكهف: الآية:102) [47]. الذي استدعى هذا الاعتراض تحديد مفهوم الأخسرين أعمالا تمهيدا للآيتين اللاحقتين التي جاء فيهما التحديد الدقيق للذين كفروا وعاقبتهم. وللذين آمنوا وثوابهم.

فقد أوثق الفصل الاعتراضي الذي يبدو ظاهريا مستقلا الربط بين نسيج الآيات (102- 104) من خلال تحديد مفهوم الأخسرين أعمالا.

6.الفصل الاستئنافي وفاعليّته في تغيير محور الخطاب:

الظاهر في سورة الكهف أنّ الفصل الاستئنافي وقع في أغلبه بين محوري الخطاب: محور الخطاب الموجه إلى المشركين ومحور الخطاب الموجه إلى المؤمنين ويتضح ذلك في قوله تعالى: " **أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا** "(سورة الكهف: الآية: 105 - 108).

فلمّا كان الخطاب موجها إلى صفتين من الناس هما المشركين والمؤمنين استدعى الفصل بينهما "لئلا يلتبسوا بغيرهم"[48].

وفي قوله تعالى: " **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا** "(سورة الكهف: الآية:29-31).

حيث كون الخطاب موجها للظالمين والمؤمنين استدعى الفصل بينهما، وهذا يشير إلى علاقة خفية وهي شتان بين الإيمان والكفر من جهة، ومن جهة أخرى إلى ترابط نسيج الآيات القائم على المغايرة والضدين جزاء المؤمنين وعقاب الكفار.

فالفصل الاستئنافي وإن كان ظاهريا مستقلا، فإنه يقيم استمرارية دلالية التي تظهر في جزاء وعاقبة من قال " **اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا** "(سورة الكهف،الآية:04). في بداية السورة ليؤكد آخرها جزاء العاصين، وثواب المطيعين، وأن من أراد لقاء ربه، فليعمل عملا صالحا، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا .

وهذا يؤكد أنّ للفصل دورا فعالا في تماسك وتلاحم وحدات النص .

---

[47] - م.س،ج16، ص: 45.

[48] - م.س، ج16، ص: 47.

7.الفصل والبنية الحكائية في سورة الكهف:

لقد عبّر الجرجاني عن الفعل "قال" باسم الحكاية، هذا الفعل الذي من شأنه أن يشرك السامع أو المتلقي في النص، وذلك عن طريق إثاره فضوله لمواصلة تطور الأحداث.

وبطبيعة النموذج الذي بين أيدينا -سورة الكهف- والذي تضمن خمس قصص جاءت أغلبها بطريقة السرد والحوار بالإضافة إلى وقوعه موضوع الأمر لرسول –صلى الله عليه وسلم- أو حكاية عن المشركين.

ومما ورد في ذلك، قوله تعالى: **وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا** "(سورة الكهف: الآية: 04 –05). حيث وردت صيغة قالوا حكاية عن المشركين، وصيغة مالهم به من علم ولا لآبائهم خبر من الله سبحانه وتعالى. فاختلاف صيغتي الخطاب استلزم الفصل بينهما.

ونلتمس فاعلية هذا الفعل "قال" أو إحدى صيغه من خلال المحاورة كقوله تعالى: " **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا، لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا** "(سورة الكهف: الآية: 37–38).

تظهر الآيات السابقة الحوار الذي دار بين صاحب الجنتين المغرور والمشرك بالله، وبين صاحبه المؤمن بربّ العالمين، فجاء الفعل الحكائي في بداية الحوار موصولا بفاء التفريع وهذا راجع كما يقول ابن عاشور "لتفريع جملة قال على الجملة السابقة"[49]، ثم ظهر مفصولا لأن مقام المحاورة والمجاوبة يستدعي الفصل.

وربّما، لأن الفصل في هذا الموقع يعبّر عن الاختلاف بين الرجلين من حيث شدة الكفر الناجم عن الغرور وسبّ النعمة، وشدة الإيمان الناجم عن توحيد الله والإيمان به.

ونجد المحاورة أيضا في قصة موسى مع فتاه والعبد الصالح التي تبدأ من قوله تعالى: " **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا، فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آَثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي**

---

[49] - م.س،ج15، ص: 319.

فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا "(سورة الكهف: الآية: 60–74). حيث جعل الفعل الحكائي مفصولا عمّا سبقه، وهذا لإنشاء المحاورة والمجاوبة.

والمتأمل لموقف سيّدنا موسى مع العبد الصالح، يتكشّف له الانسجام الدلالي الخفي وراء هذه المحاورة، وهو أنّ ما وقع لسيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم- من خلال الأسئلة الثلاثة التي وجهت إليه من قبل المشركين شبيه لـمّا "وقع لسيّدنا موسى -عليه السلام- الذي يُعد أعظم أنبياء بني إسرائيل وأكرمهم عند الله تعالى، لم يعلم ثلاث مسائل- سبب قتل الغلام، وخرق السفينة، وبناء الجدار- واحتاج إلى من يعلمه إياها، ولم يؤثر ذلك على مكانته العظيمة"[50]. وكذا في اشتباه "موقف النّبي حينما قال أجيبكم غدا ولم يفعل بموقف موسى عليه السلام حينما وعد الخضر بالتزام الصبر ولم يفعل"[51].

وبهذا كان الفصل من خلال الفعل الحكائي، أوثق الربط بين الفعل الحواري بين موسى والعبد الصالح من جهة، وأكد من جهة أخرى العلاقة الخفية بين مضمون الحوار، وبين ما وقع للرسول –صلى الله عليه وسلم- وهذه العلاقة تكون عاملا على تماسك هذا الجزء نصيّا بما سبقه.

خاتمة:نقول أنّ الدرس اللساني النصي الحديث، يلتقي مع الدرس الإعجازي العربي، باعتبار أن المفسرين انطلقوا من النص القرآني كبناء متلاحم، فبحثوا في آليات ذلك التلاحم الذي كان الفصل ميدانه، وحاولوا الوقوف عنده لكشف فاعليته في البناء النصي الذي يقوم على مفهوم الانسجام والاتساق.حيث إن المقاربة النّصية للفصل في النص القرآني، اهتمت بتوضيح العلاقات الخفية في بنية النص الداخلية، أو في علاقاتها بالمتلقي،كما أنها أظهرت انسجام النص القرآني من خلال وحدة موضوع الخطاب ودوره في بناء البنية السردية وتغييره وانتقاله من موضوع إلى آخر.كما أفرز التحليل النّصي للنص القرآني من خلال الدراسة التطبيقية لسورة الكهف فاعلية الفصل في تماسك وانسجام السورة، فكانت هذه السورة نموذجا مصغّرا يشير إلى التماسك والانسجام للنص القرآني ككل. كما بينت الدراسة أن الفصل من خلال الصفة والاتّساق البيّاني والفعل الحكائي هي الغالبة على هذه السورة، ربّما ذلك نتيجة لفاعليّة الصفة والاستئناف البياني في البيّان والتوضيح

---

[50] - مسلم، مصطفى. مباحث في التفسير الموضوعي. دار القلم، دمشق- سوريا، الطبعة الخامسة؛ 1428هـ، 2007م، ص: 242.

[51] - البقاعي، برهان الدين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى؛ 1415هـ، 1995م،ج4، ص: 466.

والتعقيب على ما سبق، وفاعليّة الفعل الحكائي في بناء البنية السردية لكون هذه السورة متضمنّة خمس قصص يغلب عليها الطابع الحواري والحكائي.في حين أنّ آلية الفصل القائمة على الاعتراض والبدل وعطف البيان حضورها في هذه السورة بنسب ضئيلة، وذلك لوقوعها موقع الاستدراك أو التعارض أو البيان والتوضيح، أو تغيير موضوع الخطاب.